

بسم الله الرحمن الرحيم

@طيب الكلام@

الحمد لله الذي أنزل فينا خير كلام ، ورزقنا أقوم دين وأحسنه ، و الصلاة والسلام على خير البرية معلم الناس بطيب الكلام وحسن القول محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

اليوم أخواتي الكريمات نتناول خلقا من أخلاق القرآن التي حث عليها وألمح إليها ، وتناولها تناولاً دقيقاً مفصلاً ، ألا وهذا الخلق هو خلق طيب الكلام .

الطيب من القول والطيب من الفعل والطيب من الخلق.

لكننا نخص اليوم الطيب من الكلام .

الطيب كلمة تستعمل بمعنى : الحلال ، وبمعنى الطاهر ، وبمعنى النظيف ، وهو ضد النجس والخبيث .

وطيب القول والكلام فضيلة قرآنية جاء بها القرآن مثنياً على أهلها ، بل أمراً لهم بفعلها .

يقول الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً .

فالقول الطيب يدل على المعدن الطيب ، والقول الحسن يدل على الخلق الحسن ؛ ولذلك حث القرآن المجيد على طيب الكلام في كثير من آياته ، سنستعرض تلك الأحوال التي جاءت فيها تلك المعاني لنجد أنها أحوال متنوعة مختلفة من حيث طيب الكلام الذي أمرنا به بأساليب رائعة جداً جاء منها المباشر وجاء منها ضرب المثل وجاء منها الحث والحض والتحريض عليه ، والله - جل وعلا - قال لعباده أمراً لهم قال : (وَلْتَكُنْ

أخلاق أهل القرآن
مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ^١ فجعل الدعوة إلى الخير هذا أطيب الكلام
وأحسن الكلام

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ (٣٣))^٢

قال الله - جل و علا - : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤))^٣ .

فجعل طيب الكلام في الدعوة إلى الله - جل و علا - ، في الدعوة إلى الخير
، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من طيب الكلام ، ثم بين الله
- جل و علا - التبعة على ذلك والمردود لهذا القول الحسن والنتيجة البالغة
وهي الفلاح [وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]

يقول الله سبحانه وتعالى مبينا صورة الدعوة التي أمرنا بها يقول سبحانه
كما في سورة النحل : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)]^٤ .

لو نظرت إلى هذه الثلاث أوامر وجدتها لا تخلوا من طيب الكلام الحكمة
طيب الكلام حكمة ، والموعظة الحسنة فهذا أيضا من القول الحسن ،
والمجادلة بالتي هي أحسن أيضا هو قول .

فالقول في الدعوة ، القول في الموعظة ، القول في الحوار ، كلها أدواتها
القول ؛ ولذلك أمرنا بإحسانها ، سواء هنا أو هنا أو هنا فنحن مأمورون
بطيب القول وانتقائه وحسنه لأنه حينما يحسن فلا أحسن منه ؛ لأن الله -
جل و علا يقول - : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣))^٥

^١ سورة ال عمران ، ١٠٤ .

^٢ سورة فصلت ، ٣٣ .

^٣ سورة ال عمران ، ١٠٤ .

^٤ سورة النحل ، ١٢٥ .

^٥ سورة فصلت ، ٣٣ .

ولما كان هذا القول في الدعوة إلى الله - جل وعلا - هو أول الركائز التي أمرنا بإحسان القول فيها ، لأنه لو أسيئ الكلام نفر الناس من الدين ، ولو نفر الناس من الدين لكنا عقبة في سبيل أو في طريق وصولهم إلى الله - جل وعلا - ، وهذا خطر عظيم ؛ ولذلك يجب أن يتمثل الدعوة إلى الله - جل وعلا - القول الحسن .

من أراد أن يكون داعية إلى الله فعليه أن يقول للناس حسناً .

ولا شك أنه لا يمكن أن يكون الداعية إلى الله صاحب قول حسن مع المدعوين ولا يكون كذلك مع إخوانه وأقرانه وأولاده وأزواجه ومن يعاشرونهم من أهله ولذلك يقول الله - جل وعلا - : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^١)

ثم بين الله - سبحانه وتعالى - مردود القول السيئ ، ولم مردوده هكذا سيئاً ، ولماذا نهى الله - جل وعلا - عنه ؟

قال الله - جل وعلا - : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)^٢ [٥٣] فيأتي الشيطان وينزع بالكلمة السيئة ، فيبدأ يوسوس للمقول له ، ماذا أراد بهذه الكلمة ؟

هو يستصغرك ، هو ***** ، هو يقصدك ، فيأتي الشيطان من هذا الباب وهذا المدخل على عبد الله ، فينفره ويقصيه عن طاعة الله جل وعلا .

وعلى ذلك فإن هذه الكلمة الحسنة التي أمرنا بقولها ، وأمرنا باتباعها ، وأمرنا أن نتمثلها ، هذه نحن مأمورون بها كميثاق ، ولم يؤخذ هذا الميثاق علينا وحدنا بل أخذ على من قبلنا ، بل أخذ على بني إسرائيل حيث قال الله - جل وعلا - : [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ]

ماهو هذا الميثاق ؟

[لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ] .

هل فقط هذا ؟

^١ سورة الاسراء , ٥٣ .

^٢ سورة الاسراء , ٥٣ .

لا ، [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا]^١ .

إذا القول الحسن للناس هذا من وسائل الدعوة إلى الله - جل وعلا - نعم ، ولكن الله أخذه كميثاق على العباد يجب عليهم أن يكونوا عليه .

وإن مما أخذه الله - سبحانه وتعالى - على الناس الوفاء بالأمانات ، ومن الوفاء بالأمانات الوفاء بمجالس القوم ؛ إذا كان الإنسان يجالس أناسا فإن عليه أن يفي بحقوق المجالس .

حقوق المجالس: حفظ الكلمة (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)^٢ [

حفظ الكلمة ، لا يحدث الإنسان بكل ما سمع .

يحملها على المحمل الحسن وليس المحمل السيئ .

أن يكون حافظا لها أمينا عليها ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(المجالس بالأمانة)^٣ [

فإذا لابد أن يجلس الإنسان المجلس وهو حافظ للسانه عن قول السيئ ، حافظا لما وعته أذنه من القول المسموع ، فلا يبده .

ولذلك أمر الله - جل وعلا - الناس أن يقولوا للناس حُسنا ، وجعله ميثاقا أخذ عليهم كما أخذ عليهم ميثاق إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهذا قد أخذ على بني إسرائيل من قبل .

ولما كان القول الحسن - أخواتي الكريمات - هو المأمور به في الدنيا كان هو المتمثل في الآخرة أيضا .

فحديث أهل الجنة القول الحسن ، وكلامهم الكلام الطيب ، والقول الذي يقال لهم هو القول الطيب ، ولذلك يقول الله - جل وعلا - : [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ

^١ سورة البقرة ، ٨٣ .

^٢ صحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٢٠٢٥ .،

^٣ حسنه الألباني في صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٦٦٧٨ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ^١ .

هل اكتمل النعيم ؟

لا ، لم يكتمل النعيم ، حتى الآن لم يكتمل النعيم بعد .

[وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ]^٢ .

ثم جُعِلَ القول الطيب هدى من الرحمن ، ما قال الله - جل وعلا - وقالوا الطيب ، قال : وهدوا إلى القول الطيب ؛ ليدل على أنّ الهداية إلى القول الطيب نوع من أنواع النعيم ، ونوع من أنواع التوفيق ، ونوع من أنواع المنن التي يمتن الله - تعالى - بها على عباده ؛ فلذلك من أراد أن يرى نعمة الله عليه فليحسن قوله وليطيب كلامه ، ولذلك جعل الله القول الطيب في الدنيا - لأنه هو الذي يصل إلى الآخرة - جعله هو الذي يصعد لأنه أصلا من عمل الآخرة ، من عمل الجنة - القول الطيب من عمل الجنة - ؛ ولذلك ليس مقامه الأرض وإنما مقامه السماء ، يصل إلى الله - جل وعلا - وينتشر عقبه في أهل الأرض وعقبه في أهل السماء ويبقى هذا القول الطيب في جنات النعيم ؛ ولذلك يقول الله - جل وعلا - : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)

من وين تجي العزة لبني آدم ؟

هنا : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

الكلم الطيب يصعد أولا قبل العمل الصالح ، بل قال بعض المفسرين : إن الكلم الطيب هو الذي يرفع العمل الصالح .

يعني إنسان يعمل صالح وما يتكلم طيب ما يرتفع عمله .

قالوا : إن الكلم الطيب هو الذي يرفع العمل الصالح ، ولذلك الذين يمكرون السيئات ويقولون السيئات لا يصعد عملهم بل يبقى عمله في دنياهم ويحيق

^١ سورة الحج ، ٢٣ .

^٢ سورة الحج ، ٢٤ .

بهم ، يدور عليهم و يحيق بهم ولا ينتفعون به ولذلك يقول الله - جل و علا - : (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُور) ^١ .

يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه: [إذا حدثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن تبارك ثم قرأ عبد الله { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } ^٢]

يقول ابن عباس - رضي الله عنه - : " الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله - عز وجل - ، والعمل الصالح أداء الفريضة ، فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حَمَلَ عَمَلَهُ ذَكَرُ اللهُ تَعَالَى ، يصعد به إلى الله - عز وجل - ، ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رُدَّ كَلَامُهُ عَلَى عَمَلِهِ فَكَانَ أَوْلَى بِهِ " .

ثم يضرب الله مثلا عظيما جميلا ، حقيقة أنا عجبت وأنا أتخيل هذا المثل فما برحت ولعلنا نقف عليه ، يقول الله - جل و علا - واسمعي لهذا المثل الرائع الذي لم يأت البشر بمثله ولو حاولوا أن يأتوا ، يقول الله - جل و علا - : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا]

ما هذا المثل ؟

[كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ]

يا ترى هذه الكلمة الطيبة مثلها مثل أيش ؟

[كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ]

أصلها ثابت : هي نافعة لصاحبها ، مقيمة معه .

[وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ]

^١ سورة فاطر ، ١٠ .

^٢ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، الصفحة أو الرقم: ٩٣/١٠ ، وقال: فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط وبقي رجاله ثقات .

فرعها في السماء يعني : تنفع الناس ، وترتفع ، وتسمو ، وتعلو ، ويذكر بها صاحبها ذكرا حسنا ، فهي مع صاحبها كأصل ، وهي ترتفع في السماء كنفع ، يقول الله جل وعلا فوق ذلك : [توتى أكلها كل حين بإذن ربها] .

يعني حينما تعلمين أي إنسان كلم طيب ، تعلمينه ذكر الله ، تعلمينه كلمة حسنة ، تعلمينه القرآن ، فأنت عندك الأصل ، ما فرطت بالأصل ، الأصل باقي معك ، وحينما تخرجين الكلمة الطيبة تخرج وأصلها عندك ، بينما افترضي مثلا أنني أعطيت إنسان مال ، أنا أخرجته من عندي لكن ، هل بقي عندي !

المال ذهب من عندي ، لكن الكلمة الطيبة تذهب مني وتبقى عندي ، ولا أحسن من هذا المثل من ضرب الله جل وعلا له مثلا بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ثم قال الله - سبحانه وتعالى - : [توتى أكلها كل حين بإذن ربها]

ما تتوقف بعد موت الإنسان ، بل تستمر كل حين بإذن ربها ، سمعت مني فلانة كلمة وأدتها ، وسمعتها آخرون وأدوها ، وعلمت فلانة ذكرا لله وعلمته غيرها ، وتعلمه من غيرها غيرها ، فهنا كثر الخير فأصبحت توتيني أكلها كل حين بإذن الله - جل وعلا - ، فلا أجد نفسي إلا ويوم القيامة قد تكاثرت علي الحسنات ، من أين هذا يا رب ؟

من أخذ ولدك القرآن ، من تعليم أولئك النفر القرآن ، من كلمة حسنة ، من هذا الذي اهتدى على يدك ، من هذا الكتاب الذي انتفع به بعد موتك بمائة سنة ، بعشرة آلاف سنة ، فالله - جل وعلا - هو الذي يحصي الناس وهو الذي يحصي العمل فلا تدعي أن تقولي كلمة حسنة بين الناس ، وكلما زاد امتداد الكلمة الطيبة كنشرها في طلابك أو في صحف أو في إعلام كلما زاد قدر الذكر الحسن وآتت أكلها أكثر وأكثر .

وفي المقابل يقول الله - جل وعلا - : [وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ] .

الكلمة الخبيثة مثل الشجرة الخبيثة لا أحد يأكل منها ، وتؤدي العين ، مع ذلك الذي يمر بها تخذشه ، أو يطأ منها شوك ، أو يأتي منها ريح قبيح

٨
يقرزه ، فهذه الكلمة الخبيثة [كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ]

يا عجباً لهذا المثل العظيم !

الكلمة الخبيثة نشاز ، صح وإلا لا ؟

الكلمة الخبيثة لما تخرج من إنسان ، يعني تخيلي جالسة مع واحدة وفجأة سمعتها تسب ، تمشين في سيب طريق وتجدين لعنة من واحد ، أو كلمة كأن تسمى حمار أو حيوان أو كذا أو

فتجدين الكلمة هذه تطرق سمعك بطريقة ناشزة ، وتشعرين كأنها اجتثت ، والاجتثات معناه : الأخذ بقوة ، والأخذ بقوة يؤدي ، يعني النفس اجتثت حتى قال الله - سبحانه وتعالى - : [اجتثت] ما قال خرجت ، ولا ظهرت ، ولا نبتت وإنما قال اجتثت ؛ لانقطاعها عن صاحبها ، وأنها لا تنفعه وإنما تؤذيه لأنه هو الذي سيتأذى بها وسيسقط فيها وسترمى في وجهه مرة أخرى .

اجتثت من فوق الارض : أيضا لا نفع لها .

[مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ]

لا لها قرار عند صاحبها ولا عند الآخرين ، بل تكون مَضْرَّةً عليه وبالا ؛ لذلك يقول الله جل وعلا : [يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ]

متى ؟

هذا القول الذين قالوه في دنياهم وحافظوا عليه ، وأمسكوا أنفسهم عن التلطف بما لا يرضي الله - جل وعلا - هؤلاء يأتون يوم القيامة بمرود قولهم ، لا ليس ذلك في القيامة وحدها بل قبل القيامة يكون ذلك الثبات في الدنيا ، يقول الله جل وعلا : [يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ]^١

وهناك ارتباط عظيم جدا يا أخواتي الكريمات بين من يقول الكلام الحسن وبين من يثبت عليه ، الذي يقول الكلام الحسن عند الأزمت تجدينه يُلْقَى

٩
الكلام الحسن ، [وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونَ حَظِّ عَظِيمٍ]^١

ما هي ؟

الكلمة الطيبة ، الدفع باللي هي أحسن ، إذا أسيئ عليه أخطي عليه دفع بالتي هي أحسن .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يهدينا إلى صراط مستقيم وأن يهدينا إلى القول الحسن .

ولما كان الكلام هذا يحتاج إلى إطالة فلعلي إن شاء الله الأسبوع القادم أكمله ...

تم بحمد الله



المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

@الجديّة@

((هذا الدرس لم يتم تسجيله وإنما نقل عن طريق الكتابه))

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ثم الصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه ومن اقتفى أما بعد كنت أهب أن أتحدث عن موضوع فدخلت المصلى وإذا بالآيات سبحان الله جاءت في نفس الموضوع الذي كنت أريد أن أتحدث عنه ذلكم هو "خلق الجدية" التي لازمت الأنبياء وأتباعهم قال تعالى عن قوم إبراهيم (قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦))

فالحياة لم تخلق للعابثين واللاعبيين ومن حكمة الله تعالى أنه يختار لجنته الجادين من الناس الذين يعملون بجد في دينهم ودنياهم لحياتهم وحياة من سواهم يعملون بجد إلى آخر لحظة من حياتهم لذلك جاءت السنة بذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

(إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة , فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) ٢ .

هذا المثل آية في العظمة وتقدير الجد وأن الدنيا ليست سهلا وإنما هي حياة بذل وعطاء وادخار للدار الآخرة ولكن الدار الآخرة لا تبنى بالعبادات وحدها أو العقائد والروح وحدها بل العقيدة مع العبادة والعمل جسديا وروحيا وبذلك حياة الأفراد وحياة الأمة.

تعالى ننظر كيف ربي القرآن أتباعه على هذا الخلق الفاضل ..

هذه قضية خلق الله السموات والأرض في ستة أيام بينا هو قادر سبحانه أن يقول لها كوني فتكون فخلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي وخلق السماء ثم استوى عليها وهي دخان ثم كان له الأمر عليها .

هذه المشيئة لم تكن بهذه الصفة إلا أن الله يريد أن يكون الناس جادين في حياتهم وليعلموا معنى الحكمة (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ٣ .

١ سورة الأنبياء , ٥٥_٥٦ .

٢ صحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: شرط مسلم , الصفحة أو الرقم: ٩ , .

٣ سورة هود , ١١٩ .

أنظري في حالك كيف أنت والجديّة..

وتعالى انظري إلى مثل من أمثال الجديّة في الصحابة..

عمر رضي الله عنه يقول كنت

أنا ورجل من الأنصار نتناوب مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب الأنصاري إلى المجلس ويذهب عمر رضي الله عنه إلى السوق فهو جاد حتى في طلب معاشه قال النبي صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)^١.

يأتي الصحابي ويفيد عمر ثم من الغد يذهب عمر إلى المسجد ويذهب الصحابي لقوته أو مزرعته ويجني ويحصل قوته وقوت عياله ثم يخبره عمر بما كان هذه الجديّة في كل شيء.

وصفحة أخرى ..

قصة ذلك الرجل الذي كان حارساً للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ سورة الكهف فأصابه سهم فانتزعه وأكمل تلاوته ثم أصابه الثاني والثالث فخاف على الجيش فأكمل صلاته ثم مد يده إلى رفيقه ليوقظه فقال له : يا سبحان الله ، هلا أيقظتني من أول سهم رماك به ..

فقال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أفرغ منها

وأيم الله لولا خوفي أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم

بحفظه لكان قطع نفسي أحب إلي من قطعها !!

هذه هي الجديّة إلى آخر مرحلة من مراحل حياتنا وهذه الجديّة لا نجدها للأسف في حياتنا، وهل يمكن أن ينهض المسلمون من غير جديّة نحن بحاجة للجديّة واستحضار الهدف وعندما تستحضرين الهدف سيظلك في الدنيا والآخرة عندما يفقد الناس الظل قال تعالى: [مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

^١ صحح إسناده أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد ، الصفحة أو الرقم: ٧٢/١١.

الْآخِرَةَ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) ^١

من كسب في الدنيا لدنياه أظل في الدنيا بدنياه ومن كسب في الدنيا لآخرته
كسب لآخرته و دنياه قال تعالى : [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا
نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (١٨)] ^٢

نحن بحاجة للجدية هاتي أي علم بارز من أعلام الدنيا سواء في الدنيا أو
الدين ستجدين أنه بذل جهدا في شبابه وقوته قال النبي صلى الله عليه
وسلم: [(اغتتم خمسا قبل خمس) وذكر منها (وفراغك قبل شغلك)] ^٣

هذه الجدية نحتاج إليها وإذا تركنا أنفسنا في حال القدرة والقوة فسنبحث
عنها ولا نجدها ثم يقوم علينا العجز والجور ثم نكون من النائمين .

فاغتتموا الأيام والفرص.. اغتتموها بالدعوة إلى الله وتحصيل العلم طوري
نفسك ومهاراتك وابدئي, والآن تيسر العلم مع وجود منابر تعليمية سواء
انترنت أو قنوات فضائية أو كتب.. قديما كانوا يكتبون في الرقاع
ويضربون أكباد الإبل ونحن الان نحمل موسوعة في جهاز والمعلومات
بين أيدينا .

ومع دعوة الإسلام للجدية دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى القصد فقال:
[القصد القصد تبلغوا] ^٤ أي كوني منظمة وابدئي شيئا فشيئا واعلمي أن
اللقمة الكبيرة يغص بها أكلها والتدافع على الباب يموت فيه بعض الناس
اغتتمي الفرص فإن الفرص لا تتكرر الآن فرصتك فراغك وشبابك..

كان الشيخ عائض القرني يقول كنت لا أجلس إلا ومعني كتاب أما الان قد
يشغل فمن أين له المعلومات إنما هي من الصغر واعلمي أن المعلومات
التي تقرئينها اليوم هي التي ستجدينها غدا في ذهنك.

فهذا القرآن علمنا الجدية قال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)] ^٥

^١ سورة الشورى , ٢٠.

^٢ سورة الإسراء , ١٨.

^٣ صححه الألباني في صحيح الجامع , الصفحة أو الرقم: ١٠٧٧.

^٤ أخرجه البخاري في صحيحه , الصفحة أو الرقم: ٦٤٦٣.

^٥ سورة الأنبياء , ١٦.

وما اتخذ الصحابة من الله في حياتهم إلا جزءا يسيرا من الترويح وهو كالتنفس للقدر المضغوط ..

ثم الخاتمة.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله



المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

@المجاهدة@

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله ، أما بعد :

نجلس هذه الدقائق بإذن الله تعالى مع خلق من أخلاق القرآن ربي الله عليه من قرأه .

هذا الخلق أخواتي الحبيبات هو:

خلق المجاهدة ، وهو أصل أصيل في باب الأخلاق وبناء النفس والشخصية ، هذا الخلق لا يمكن أن يصل الإنسان إلى رقيه وعزه ونجاحه وفلاحه إلا به .

ولو أننا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن هذا الخلق أنواع :

منه : جهاد النفس .

ومنه : جهاد الشيطان .

ومنه : جهاد العدو من الكافرين والمنافقين .

أما جهاد النفس فلا يمكن أن يصل المرء إلى مبتغاه إلا بمجاهدة نفسه ، قد جاء القرآن بذلك في قوله جل وعلا : [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] ^١ .

^١ سورة العنكبوت ، ٦٩ .

وجاء فيه أيضا :

أن النفس الأصل فيها أمارة بالسوء ؛ لأن الله فطرها على حب ذاتها وحب الشهوات ، كما قال الله جل وعلا : [زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ] ^١ .

فهذه الشهوات مزيّنٌ حبها في النفوس ، فصار ترك هذه الشهوات للإنسان يحتاج إلى مجاهدة ؛ لأن تركها لله خلاف لما فطر الله النفس عليها .
وهذه الفطرة فطرة امتحان وابتلاء .

فمنها ما يوافق الشرع كفطرة حب النكاح ، ومنها ما يخالف الشرع كفطرة حب النساء بغير نكاح .

فاحتاج المرء إلى مجاهدة النفس في هذا ، وقد دل القرآن على أن النفس أمارة بالسوء في قوله تعالى في سورة يوسف على لسان امرأة العزيز : [وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ] ^٢ .

وهذا وإن كان من قول امرأة العزيز إلا أنه جاء في القرآن ولم يُتَّربَّ عليها هذا القول ، كمثل قول ملكة سبأ : [إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً] قال الله تعالى : [وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ] ^٣

إذا فالنفس الأصل فيها أمارة بالسوء ، فكان يحتاج المرء إلى سياستها وإلى إدارتها بأن ينظر في أمرها بالسوء فيوقفه ، ويدفعه لأجل ألا تعتدي : على شرع الله جل وعلا أو على حقوق الآخرين ، بل ربما كان على حق ذاتها وأصلها ومنشئها كمن ينتحر أو يورد نفسه موارد الهلكة .

ولذلك كان أول أخلاق الإسلام : مجاهدة النفس وتنمية هذا الباب وقد نظرت في حال المجاهدة كيف تكون ؟

وجدت أنه أول الخطرة تخطر بالخير ، ثم تأتي النفس لتثقل هذا الخير وتعسره وتكسل عنه وتستبعده ، كمثل من تريد أن تصوم أو تقوم تطوعا ،

^١ سورة آل عمران ، ١٤ .

^٢ سورة يوسف ، ٥٣ .

^٣ سورة النمل ، ٣٤ .

فيخطر في نفسها حب الصيام أو حب القيام فإذا بها تكسل . ويأتيها خاطر يقول : ليكن في الغد أو نبدأ بعد أسبوع أو ليكن في ذلك اليوم الفلاني ، فنتبدأ تكسل .

أحيانا يأتي ذلك للإنسان في أعمال العبادات وأحيانا يكون ذلك في أعمال البر وأحيانا يكون ذلك في أعمال الدنيا أيضا ، فمن أراد أن يجاهد النفس بأقوى ما يكون ، فليجاهد من أول إعاقة الخطرة .

الإنسان أول شيء تخطر له الخطرة ؛ فتأتي إعاقة الخطرة فإن استسلم لها - استسلم لهذه الإعاقة - زادت وتضخمت وإن هو جاهدها من أول خطرتها قوي .

ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في صورة مشابهة لهذا ، يقول : [يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد) ^١ .

في الحقيقة يا أخوات أن الشيطان لا يأتي للإنسان ويقول له : ارقد . وهو نائم !

ما يأتيه إلا بعد أن يستيقظ و ***** ، يستيقظ ويدرك ويشعر فيأتيه الشيطان يقول له : عليك ليل طويل فارقد .

فإن هو قام انحلت عقدة فكان هذا أثقل المجاهدة ، وإن هو نام أكمل الشيطان عليه العقد .

العقد ثلاث ، الأولى إذا انحلت بقي اثنتان .

فإذا انحلت الثانية بقيت واحدة .

إذا أول طريق المجاهدة هو أول مدافعتها بعد الخطرة ، فمن دفعها قلت عليه العقد بعد ذلك ، وكل مرة تكون أسهل من التي بعدها ، لذلك أيهم أنقل عليك ، أن تقومي وأنت في فراشك أو يقومي وقد توضأت ؟

أيهم أسهل في الصلاة ؟

^١ أخرجه البخاري في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ١١٤٢ .

بعد الوضوء . صح !

طيب أيهم أسهل عليك : أن تستيقظي وتتوضئي وتقفي في الصلاة ، أم أنه أسهل أن تكوني في فراشك فقط ؟

لا شك أن الأسهل أن تكوني في الصلاة ، تكون أسهل عليك العبادة لأن تكون انحلت عنك العقد ، لكن والإنسان في فراشة تكون العقد اثنتان فيصبح لا بد أن يحل عقدة وعقدة حتى يكون قويا ، إذا المجاهدة لا بد ان تبدأ من أول خطرة الخير .

ثم اعلمي أن خطرة الخير إذا دُفعت واستبعدت صعبت .

فإذا خطر في قلبك مثلا : خطرة الصدقة فدفعتها ، ربما تعاودك مرة أخرى وربما لا تعاودك ، إذا خطر خطرة صيام أو خطرة بر أو خطرة طلب علم فاغتنمها ، متى ؟

ساعة اشتعالها ، وساعة حدوثها وإلا فإنها تضعف .

وكذلك أيضا الشأن في مسألة الطاعات ومسألة المعاصي .

من السهل على الإنسان المطيع أن يتوب من أول ذنب ومن السهل عليه أن يتوب من ثاني ذنب ، ولكن سهوله الأول أكثر من الثاني ولكن إذا تراكمت الذنوب صارت التوبة عسيرة ، ولذلك يقولون فلان مدمن وعلاج المدمن أشد من علاج الذي يقع لأول مرة ، أو لا ؟

ألا ترين الإنسان إذا أدمن شيئا أي شيء ، سواء سماع غناء سواء شرب دخان سواء الحديث في الناس تصبح التوبة صعبة عليه . كذلك كلما كبر وهو على شأن كلما عسرت عليه العودة إلى الطريق ولذلك فإن صلاح الشاب أفضل من صلاح الكبير ، تقول المرأة الشاعرة :

أمسى يمزق أثواب يؤدبني أبعد ستين يبغي عندي الأدبا !

خلاص أنا ما أتأدب صار الأدب صعبا علي ، صار الأدب صعبا .

كذلك الشجرة ، الآن لو عندك شجرة فيها غصن طري ، هل يمكن أن تتحكمي بهذا الغصن ؟

هل يمكن أن تحرفيه يمين ، تحرفيه شمال ؟

يمكن .

ولذلك الناس الآن يزينون الأغصان من طراوتها ، يزينونها وفق ما يريدون ، يشكلوها يجدلونها يلفونها

لكنهم لا يستطيعون فعل ذلك مع الشجر .

الشجرة نمت هكذا لا يمكن تتغير ولو أنك غيرتها كسرتها ، ولذا أنت الآن في سن إمكان المجاهدة ، مرة من المرات يا أخوات كنت أقول في نفسي : لماذا النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل لما سأله عن عمل يدخله الجنة ، قال: [لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله] 'هل فيه صعوبة من أن يكون اللسان رطبا من ذكر الله ؟

كنت أتساءل هذ السؤال وأنا في سنكم ، بعد ذلك رأيت نساء كبيرات في السن وأولادهن يوجهونهم للذكر ولا يذكرون ، بل تستمر في سؤالها عن الاولاد وعن الأحوال وتدخلها في شؤون الآخرين !.

يعني بعض النساء تبلغ عمر ثمانين سنة أو سبعين سنة ، أصبحت جدة أحيانا تكون غير قادرة حتى على الحركة غير قادرة تجدينها مقعدة ، مصابة بالفالج مثلا ، تجدينها إذا استضاف أهل البيت ضيوفا بدأت تصرفه كأنها هي الأمرة الناهية كأنها هي صاحبة الشأن ، ولو قال لها أولادها يا أمي ارتاحي أكثر من ذكر الله وما عليك من الباقي تجدينها لا تستجيب ، بل تستمر في ما هي فيه ، وأحيانا تعبر لك وتقول : لا أقدر ، ما أستطيع . لماذا ؟

لأنها لم تجاهد نفسها من أول خطرة ، ومن أول الطريق ، ولذلك صار صعبا عليها ويقولون في المثل : من شب على شيء شاب عليه .

فذلك فإن المجاهدة من أول الطريق أفضل من المجاهدة في آخره .

ولذلك تجدين اختلاف في توجيه النبي - صلى الله عليه وسلم - للسائلين الذين يسألونه عن خير العمل .

^١ صحح إسناده الألباني في الكلم الطيب، الصفحة أو الرقم: ٣.

فواحد منهم يسأل عن خير العمل فيقول : [الجهاد في سبيل الله] ^١ .

ولو نظرت إلى السائل لوجدته شابا .

وثاني يسأل يقول له النبي - صلى الله عليه وسلم - : [لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى] لماذا ؟

تجدينه شيخ كبير .

تجدين الفرق بينهما أن ذكر الله على الشيخ الكبير كمثل الجهاد على الشاب .

الجهاد على الشاب سهل ، ممكن الشاب يغامر بحياته كلها في سبيل الله جل وعلا لكنه ربما يصعب ذلك على الشيخ الكبير إلا بتربية وتوضيحية وبذل وإيمان ويقين وحب لله جل وعلا حبا عظيما .

فذلك فلنستغل هذه الفرصة فرصة حديثنا اليوم لنجاهد أنفسنا لتحصيل العلم وتعلمه ، وهذا تباعا لما ذكرته الأسبوع الماضي من الجدية .

النوع الثاني من المجاهدة التي جاءت في القرآن الكريم هي : مجاهدة الشيطان ، ونحن مأمرون بمجاهدة الشيطان ، وألا نكون سببا له ، فإن الله عز وجل ؟ أمرنا بمجاهدته .

ماذا قال الله - جل وعلا - لنا ؟

[إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا] ^٢ .

وقال : [وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] ^٣ .

الشيطان له خطوات ، مثل ما أن النفس لها خطوات إلى المعصية كذلك الشيطان له خطوات .

كل ما مشينا في خطواته كلما صعب علينا الرجوع ، وشق فلذلك نحتاج إلى مجاهدته من أول خطوة .

^١ أخرجه البخاري في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ٥٢٧ .

^٢ سورة فاطر ، ٦ .

^٣ سورة البقرة ١٦٨ .

أضرب لكم مثال على الوسوسة.

الوسوسة أول ما تبدأ لو أنك سألت أي شخص موسوس : متى بدأت هذا الأمر ؟ وجدته قال : بدأ بالشك ، فأعدت مرة ثم شككت مرة أخرى فأعدت ثانية ، ثم شككت مرة ثالثة فأعدت ثالثة ، ثم تطور بعد الشك في الوضوء صرت أشك في الصلاة ثم تصور فبعد الشك في الصلاة والوضوء صرت أشك في التوحيد ويبدأ الإنسان إذا استسلم للشك يبدأ يتدرج .

ما العلاج الذي ذكره العلماء ، بل العلاج الذي ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟

قطع الطريق على الشيطان ولذلك تجدين في الأحاديث تدابير عظيمة لرد هذا الباب على إبليس .

مثلا : جاء في الحديث قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : [إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : الله خلق كذا وكذا ، فمن خلق الله ؟]

شفت الطريق إذا للشيطان الخطوة الأولى يقول لك الله خلقك ، من خلق الله ، ماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : [فإذا وجد ذلك أحدكم ، فليقل : آمنت بالله] ^١ ، وفي رواية: (وليستعد بالله منه فإنه شيطان) ^٢

إذا طريق المجاهدة : أول خطوة : [فليقل آمنت بالله] يصرح بذلك .

يقطع الطريق على الشيطان .

هذا بالنسبة للتوحيد .

بالنسبة لانتقاص الوضوء

^١ صححه الألباني في تخريج كتاب السنة، الصفحة أو الرقم: ٦٥٠.

^٢ صححه الألباني في صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٩٩٣.

سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشك في الصلاة فقال: [(فلا يخرج من المسجد) ^١ ، وفي رواية: (فلا ينصرف) ^٢ حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً]

فجعل قطع الطريق على الشيطان من أول وهلة .

ما هو الطريق ؟

طريق الشك .

كيف أعرف أن هذا الشيطان ؟

أسأل نفسي : أقول هل أنا مستيقنة أم شاكرة .

هذا السؤال يجب ان تسألين نفسك .

هل أنا مستيقنة ؟

إن كان الجواب : نعم مستيقنة .

فماذا استيقنت ؟

اسألني نفسك هذا السؤال في داخلك فبماذا استيقنت ؟

هل سمعت صوتاً ؟ هل وجدت ريحاً ؟

إن كان الجواب لا ، إذا فأنا على الشك فوضوئي صحيح ولم ينتقض وأكمل صلاتي .

قد تقول هي أو يأتيها الشيطان فيقول لها طيب :

على فرض لو كان انتقض ، إذا صلاتك باطلة !

الجواب : لا ، ولو انتقض فصلاتي صحيحة .

كيف ؟

^١ أخرجه مسلم في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ٣٦٢ .

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ١٧٧ .

لأنني لم أسمع صوتا ولم أجد ريحا ، ولم انصرف لأن ذلك شك ، والشك مرفوع واليقين هو الذي يثبت وهذا من هذا الباب يغلق الطريق على إبليس .

كذلك في قضية الصلاة إذا شك الإنسان فلم يدر كم صلى ، فإنه يبني على اليقين ويتم بما نقص .

يسأل نفسه : هل أنا مستيقن بثلاث أو من أربع ، فإن كان الجواب :

أنا مستيقن أنها أربع انهي صلاته خلاص انتهى .

وإن كان : أنا شك ، فليجعلها ثلاثا وليأت بالرابعة ، ثم يسجد سجدين للسهو ، فإن كان نقص كانت السجدين تمام .

وإن كان زاد كان ذلك **** به فإنه يكون ترغيما للشيطان ، وش معنى ترغيما للشيطان ؟

إرغاما له وإغلاقا للباب في وجهه.

هذه التدابير الشرعية مقابل الشيطان تجعلنا نكون أمة قوية لأنها جاهدت من أول الطريق .

طيب وهذا الذي يستجيب ويعيد ، ما الذي يحصل ؟

سيعيد مرة أخرى ، ويعيد الثالثة ، ويعيد رابعة ، ويعيد خامسة .

وقد رأيت من المبالغات عند الشاكين ، أناس يعني والله يا أخوات أشبه أنهم فقدوا صوابهم ؛ بسبب الاستجابة ، وحينما سألت عن تاريخ هذا الأمر ، وجدت أنه ابتداء من خطوة واحدة ، خطوة الشك .

بعد ذلك زاد وزاد وزاد ، حتى أنني أصبحت لا أستطيع أن أتجاوب مع هذا الموسوس إلا بإنهاء المكالمة ، أو أحيانا بالرد عليه بسؤال فيجيبني هو فأقول : أنت أجبت نفسك ؛ لأنه يظل يشك ويشك ويشك ولا ينتهي

فقطع الشك يكون من أول بابه .

ثم إن إبليس يأتي بصور متعددة ونحتاج أن نفضح شأنه .

يأتي بصور متعددة فهو يأتي تارة بصورة واعظ .

واعظ بماذا ؟

واعظ ببدعة .

واعظ بماذا ؟ واعظ بمقاصد حسنة بطريق خاطئ .

أو يأتي مخوّف [إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي]^١.

أو أنه يأتي بصورة مُلبس فيلبس الحق بالباطل ، أو يأتي بصورة مزين فيزين الشهوة ، ويزين الفعل ليقع به الناس .

فلا بد أن نعرف وسائل الشيطان ونحذر منه.

ثالث أنواع الجهاد وأختم به ، مجاهدة العدو .

والعدو نوعان : الكافرون والمنافقون .

أما المنافقون فإنهم يجاهدون بالحق ، والحق الذي يجاهدون به كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يُدخل معهم في نقاش سوى هذا ؛ لأنهم مظهرون الإيمان والقرآن حجة عليهم ، السنة حجة عليهم .

ولذلك يقول الله جل وعلا : [وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (٥٢)]^٢

والمقصود "به" : الهاء عائدة على القرآن .

أما النوع الثاني : فهم الكافرون الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يؤمنون بالسنة .

فهؤلاء لا نحاجهم ولا ندافعهم ولا نجادلهم لا بالقرآن ولا بالسنة ، إذا نجاهدهم بماذا ؟

نجاهدهم بالحجج العقلية .

^١ سورة ال عمران ، ١٧٥ .

^٢ سورة الفرقان ، ٥٢ .

من أين نأتي بهذه الحجج العقلية ؟

نفس الحجج التي حاجّ الله بها الكافرين في القرآن نتعلم من هذه الحجج كيف ننشئها ونصوغها كما صاغها القرآن، ونُحاجّهم بها وسنجد أنها حجج قوية.

(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا أبأؤنا [سورة الأنعام^١

هذه الحجة احتج بها الكافرون من المشركين واحتج بها القدرية الذين كفرهم أهل الإسلام .

والجواب عنهم بنفس الطريقة تماما :

لو شاء الله ما أشركنا يقولون لو شاء الله كان ما عصينا لو شاء الله ما تركنا العبادة ما تركنا الصلاة ،

فهؤلاء يحتاجون بنفس حجة القرآن ، ثم يحتاجون أيضا بما حاج الله - سبحانه وتعالى - به الكافرين ، من حيث الخلق والأمر والسير في آيات الله - جل وعلا - والنظر إلى الكون والإعجاز العلمي والإعجاز البلاغي وإلى غير ذلك من أنواع المعجزات والدلائل النبوية كل ذلك يجعلهم يهتدون أو يقتربون، فإن لم يفعلوا فقد حججناهم بما حجهم الله سبحانه وتعالى به .

فإن آمنوا فالحمد لله ، لنا أجر ولهم أجر .

وإن لم يؤمنوا فما لهم علينا من سبيل ومالنا من إثمهم من شيء .

بهذا نكون قد استوعبنا جميع أنواع الجهاد الذي ورد في كتاب الله - جل وعلا - .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم بحمد الله



المجلس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم
@الستر@

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين .

اليوم إن شاء الله سنستأنف أخلاق القرآن ، ولعلي أتحدث عن جانب من جوانب القرآن العظيم التي قد لا يلتفت لها كثير من الناس ، وهذا الجانب وهذا الخلق الذي أشار له القرآن وأشارت له السنة هو (خلق الستر) .

والستر كلمة خفيفة على اللسان ، شائعة تستعمل بين الناس ، ولكن هذا المضمون الأخلاقي الذي تحتويه هذه الكلمة عميق واسع وهو لا يكون إلا من أصفياء الناس ، وأصحاب الخلق الرفيع ...

السَّتر كلمة تعني: التغطية ، وتعني: الإخفاء ، فإذا سترت شيئاً فأنا غطيته أو أخفيته أو منعت إظهاره للناس .

والمعنى الأخلاقي للسَّتر : هو أن يكون في الإنسان روح الميل إلى إخفاء ما ينبغي إخفاؤه .

والمرء بفطرته يحب إخفاء العيوب ؛ لأن الله جل وعلا فطره على ذلك ، فالله جل وعلا ستر يحب الستر ، وهو ستر العيوب إذا ستر عباده فطر الإنسان على حب الستر .

آدم عليه السلام لما خلقه الله جل وعلا وأسكنه الجنة كانت عورته لا تظهر لأنه كان يغطيها ويخفيها النور الذي خلقه الله عليه ، فلما عصيا ربهما وأكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتها ، فظهرت العورات وانكشفت ، فنظر هو إلى عورته ، ونظرت زوجته إلى عورتها فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، فالفطرة التي فطر الله العبد عليها : أن يكون مخفيا لعيوبه ساترا لعوراته .

وقد وردت مادة الستر في القرآن ثلاث مرات .

الأولى : في سورة الإسراء ، يقول الله جل وعلا : [وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)] ، يعني المعنى : الغطاء .

وجاء ذلك أيضا في سور أخرى ، لكن قبل أن نذكر السور أذكر القصة التي جاءت فيها هذه الآية .

في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت ،،، ولها ولولة وفي يدها فَهْرُ (الحجر الكبير) وهي تقول :

مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا .

تقصد بمذمما : يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد يعني عند الكعبة ، ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله أقبلت ، وأنا أخاف أن تراك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها لن تراني ، وقرأ قرآنا فاعتصم به ، وقرأ : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)) ، فوقفت على أبي بكر ، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني !

فقال : لا ورب هذا البيت ما هجاك .

(لأنه لا يقول الشعر صلى الله عليه وسلم ، وإنما الهجاء هجاء الشعر) .

فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سيدها .

إذا وقفت على أبي بكر الصديق ، وسألته ، وكانت تريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وسؤالها كان يدل على أنها لم تر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل الله بين الذين لا يؤمنون بالآخرة وبين المؤمنين حجاباً مستوراً .

وكذلك يجعل الله بين هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وبين القرآن الذي يقرأ والهدى الذي يدعو إليه أهل الاستقامة والصلاح والإيمان ، بينهم وبينهم حجاب مستور .

إذا فمن وجد نفسه يسمع كلام الله وينصت له ، ويهتدي به ، وينتفع به فإن ذلك من علامات الرشد له ، فليتمسك بذلك فإنه حبل الله المتين ، وليستبشر خيراً ، وإياه ثم إياه أن يلتفت ويرتكس بعد أن أعطاه الله الهدى وأضاء بصيرته .

والمرة الثانية من آيات الستر جاءت في سورة الكهف ، يقول الله جل وعلا : [حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا]^١ .

أي : هؤلاء الأمة كان لا يكتفون ببناء ولا لباس ولا شجر عن الشمس فجعل بينهم وبينها ستراً .

المرة الثالثة في سورة فصلت ، حيث يقول الله جل وعلا : [وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ]^٢ .

الشاهد قول الله جل وعلا : [وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ] (٢٢)

^١ سورة الكهف ، ٩٠ .
^٢ سورة فصلت ، ١٩-٢٢ .

يعلق ابن كثير على هذه الآية فيقول : [وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ] ، أي : تقول لهم الأبصار والجلود التي يلومنها على الشهادة عليهم : ما كنتم تكتُمون منا الذي كنت تفعلونه ، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه ؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ؛ ولهذا قال تعالى : [وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)] وَدَلَّيْكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)]^١

أقول : أيضا ربما يكون في طيات هذه الآية معنى : أنكم ما كنت تستترون ، لو كنتم تستترون من أعين الناس فإنكم لا تستترون من أجسادكم ، كذلك الله جل وعلا أقرب إليكم من أجسادكم ، بل أعلم بكم من أجسادكم ، أنتم ترون أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وتظنون أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون والله عليم بكم ، بصير بكم ، خبير بكم ، فإن كنتم لم تستتروا من أجسادكم ، من جلودكم ، من أسماعكم ، من أبصاركم فإنكم لن تستتروا من الله جل وعلا ؛ لأنه هو الذي خلقها وهو القادر على أن ينطقها متى شاء .

والله جل وعلا يحب السَّتر ، وهو السَّيِّر سبحانه وتعالى ، ولذلك فقد دلت آيات على معنى السَّتر ، منها ما جاء في سورة النور في قول الله جل وعلا : [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)]^٢

أي : أن الله جل وعلا من أجل حبه للسَّتر كره أن تشاع الفاحشة ، وهنا لا يصح لأحد يعمل فاحشة أو معصية أو أمرا قبيحا يعلمه من نفسه يستره الله عليه ثم يصبح يفشي سره ويكشف ستر ربه .

وقد جاء ذم ذلك وتقبُّحه كما في آخر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : [... كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المِجَانَةِ (أي : من المجون) أن يعمل الرجل في الليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ، ويصبح يكشف ستر الله عنه] .

هذا إذا كان في حق العبد ذاته فهو في حق غيره من عباد الله كذلك ، فلا يصح ، ولا يجوز بحق أن يستر الله أمة ، أو امرأة ، ثم تراها واحدة في

^١ سورة فصلت ، ٢٢-٢٣ .

^٢ سورة النور ، ١٩ .

سوق أو في وليمة أو في شيء من هذا ثم تقول : فلانة فعلت ، وفلانة تركت ، وهذا كله من كشف الستر ، ولو أنها أظهرت ذلك لفريق من الناس ، أو لبعض الناس فلا يصح أن يذكر ذلك ويذاع لأمر ، منها :

أن هذا يفشي الفاحشة ، فيقول كثير من الناس ، ما دام الناس على مثل ذلك فلاكن أنا .

الثاني : أن صاحب العمل السيء والقبح ربما أنه عمله عند خاصة أصحابه ولا يريد أن يظهر لغيرهم ، فلا ينبغي أن يظهر .

الثالث : أن في إظهاره لآخرين تجرئ له ؛ فإنه قد يكون لا يجروء على عمله أمام عامة الناس ، ويجروء على عمله أمام أصحابه أو أهله ، فإذا ذكر ذلك في العامة تجرأ عليه ، وكل ذلك قبيح بالناس أن يفعلوه ، ولا ينبغي لهم .

وإن من الستر أيضا : ستر عيوب الزوجة ، وستر عيوب الزوج ، تستر المرأة عيوب نفسها ، ويستتر الرجل عيوب نفسه فلا يصح لرجل يتزوج يقول : كنت أعمل قبل الزواج : كيت وكيت وكيت .

ولا امرأة تكشف سترها وتقول : كنت أعمل كيت وكيت وكيت ، لما في ذلك أولا من إتاحة الظنون والشكوك في نفس بعضهم لبعض .

وأیضا ما في ذلك من سقوط الهيبة للآخرين ، فإذا سقطت الهيبة صار الناس يجرون في المعصية والمنكر لا يخافون ولا يستحيون .

وإن مما ينبغي أن يستتر أيضا : القبائح التي يستقبح منها الإنسان ويستكبرون منها ؛ لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد قضاء حاجته يذهب مكانا بعيدا ؛ ولذلك سمي الغائط الغائط ، فهو من باب إطلاق المحل على ما يفعل .

ومن حب الستر أيضا أنه لم يأت الصراحة بما يُستقبح في كتاب الله جل وعلا ، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كني عن المعاشرة بين الزوجين بألفاظ لا تذكر الكلمة ذاتها ، فيقول الله جل وعلا : [هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ]^١ ، ويقول الله سبحانه وتعالى : [فَلَمَّا

^١ سورة البقرة ، ١٨٧ .

تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ^١ ، فلا تُذكر الكلمات بألفاظها وإن كان في غيرها دلالة عليها استعمل ، كما استعمل الغائط في ذلك وهو المحل أو المكان المنخفض .

أيضا من استقباح النبي صلى الله عليه وسلم أو من حيائه وستره أنه كان يستقبح الألفاظ السيئة ، ويستقبح سؤال الناس عن ذنوبهم وعن عيوبهم ، بل كان يستقبح أن يشهد المرء على نفسه بالفاحشة ،

فقد صد عن ماعز حينما جاءه وقال يا رسول الله ، إني زنيت ، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (أبك جنون) . قال : لا ، قال : (فهل أحصنت) . قال : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اذهبوا به فارجموه) ^٢ ، وهذا من حبه صلى الله عليه وسلم للستر ولو كان الذنب يصل إلى درجة الفاحشة ، فمن الأولى بالعبد إذا أذنب ذنبا أن يستر نفسه وأن لا يفضحها .

وإن مما ينبغي أن يُستر ما يتحدث العقل به والنفس به ، فيتحدث العقل في باطنه أو توسوس له نفسه بالكلام الباطل أو بالشكوك والظنون في ذات الله جل وعلا ، فينبغي في مثل هذه الحال أن تستر تلك الوسوس والظنون والشكوك والأقاويل التي تبطن في النفس وأن لا تظهر للآخرين إلا على سبيل الإستفتاء ، ولا يستفتى بها على وجه التفصيل ولكن يستفتى فيها على وجه الإجمال ، ولذلك جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : [إني لأجد في نفسي ما لو حدثت به لحبط عملي] .

لم يقل : كنت أشك في ذات الله ، أو كنت أشك فيك يا رسول الله ، أو كنت أشك في الجنة ، أو كنت أشك في النار .

لم يفصل في ذلك بل قال : [إني أحدث نفسي بالشيء ، لو تكلمت به لحبط أجري] ^٣ .

فستره لهذا كان سببا في تجاوز الله تعالى عنه .

^١ سورة الأعراف ، ١٨٩ .

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ٦٨١٥ .

^٣ الراوي: أم سلمة المحدث: الشوكاني - المصدر: التذكرة للقرطبي - الصفحة أو الرقم: ٣٨ خلاصة حكم المحدث: صحيح

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : [إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به] ^١ ؛ لأن الإنسان إذا تكلم تبَّت الكلمة هذه في نفسه وعند غيره ، وربما سمع بها آخرون ، وما كان في قلوبهم من الإيمان ما يبعثهم على سترها أو مدافعتها فتقع في نفوسهم .

وإن مما ينبغي أن يستره العبد ذنوب الآخرين ، كثير منا نرى من واحدة فعلا ، أو نسمع منها قولاً ، أو نرى لها وصفا ، فإننا جلسنا مجالس صديقاتنا أو صاحباتنا حدّثت ، شفت فلانة فعلت ، شفت فلانة أمس قالت كذا ، شفت فلانة ... ، هذا كله لا ينبغي أن يكون بل يجب على الإنسان أن يستر هذه الذنوب وهذه العيوب لعل الله جل وعلا أن يستره .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب في ستر العبد عيوب نفسه ، إذا كانت عيوب نفسه فهي من باب أولى عيوب الآخرين ، يقول صلى الله عليه وسلم في الترغيب في ستر العبد عيوب نفسه : [لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القامة] ^٢ ، فلا شك أن العبد إذا فضح نفسه لم يستره الله جلا وعلا ، ويؤيد هذا الحديث ما رواه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا : أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق ، فيقول الأشهاد : { هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين } ^٣ .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يستر عيوبنا أجمعين .

من أسماء الله جل وعلا السِّتير : فالله هو السِّتير سبحانه وتعالى ، ولذلك سمى نفسه بهذا كما جاء في السنة : [إن الله حيٌّ سِتيرٌ يحب الحياء والتستر ؛ فإذا اغتسل أحدكم فليستتر] ^٤ .

إذا النبي صلى الله عليه وسلم سمى ربه بالسِّتير فهو من أسماء الله جل وعلا ، فإن الله سِتيرٌ يحب السِّتير ، وقد قال أيضا : ناهيا لتستر العورات

^١ صححه الألباني في صحيح ابن ماجه ، الصفحة أو الرقم: ١٦٧٢ .

^٢ أخرجه مسلم في صحيح ، الصفحة أو الرقم: ٢٥٩٠ .

^٣ أخرجه البخاري في صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم: ٢٤٤١ .

^٤ حسن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ، الصفحة أو الرقم: ٤٢٥ .

حتى بين الرجل وزوجته ، قال : [لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة]^١ .

يعني : استتروا حتى من زوجاتكم إلا في حال واحدة فقط ، أما أن يظهر الإنسان هكذا بعورته بزعم أو بدعوى أنه يباح لها منه كل شيء ، وهي كذلك فهذا لا ينبغي بدلالة هذا الحديث .

قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأت منها وما نذر قال: (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك) قال قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض قال: [إن استطعت أن لا يرىنها أحد فلا يرىنها) قال قلت: يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليا قال: [الله أحق أن يستحي منه من الناس]^٢ إذا ففسر ذلك تصرفات كثير من الناس الذين يسترون عوراتهم سواء بالحجاب عن الرجال ، أو يسترون ما ينبغي ستره عن النساء أيضا أنهم يحبون الستر ، وما داموا على ذلك يموتون عليه ، إنهم يحشرون عليه ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ؛ قالوا لأنه هو أول من لبس السراويل .

يعني : أول من احتشم وتستر ، فإذا كان التستر في حق الرجل ، فما بالك به في حق المرأة ، وما بال كثير من الناس اليوم يظهرون عوراتهم ، فتجدين الفتاة تلبس الثوب إلى الركبة ، وتلبس الثوب الضيق الذي يصف عورتها ، ولا تستحي من ذلك ، والله أحق أن يُستحيا منه من الناس .

أسأل الله أن يستر عوراتنا ، وأن يؤمن روعاتنا ، وأن يسترنا في الدنيا والآخرة ، أقول قولي هذا وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين .

تم بحمد الله



^١ الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ٣٣٨

خلاصة حكم المحدث: صحيح

^٢ الراوي: معاوية بن حيدة القشيري المحدث: ابن القيم - المصدر: تهذيب السنن - الصفحة أو الرقم: ٥٦/١١

خلاصة حكم المحدث: صحيح

المجلس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

@التوكل@

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله ، استعنا بالله وعليه توكلنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بربنا جل وعلا ، ثم الصلاة والسلام على خير عباد الله وأحبهم إليه محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد :

من أخلاق القرآن أخواتي الفاضلات : التوكل .

فقد حثنا القرآن على التوكل في مواضع كثيرة ، وامتدح المتوكلين ، وبين منزلتهم عند الله جل وعلا ، وذكر الله لوازم التوكل ونتائجه .

التوكل مأخوذ من الاعتماد ، يقال : وكلت الأمر إلى فلان ، أو وكلت فلانا ، أي : اعتمدت عليه في شيء ما .

والوكالة منها مطلق ومنها مقيد ، والمطلق منها في حق البشر ، ما يكون بين الناس أو بين بعضهم البعض فيما يطقونه ويقدررون عليه ، ومنه وكالة خاصة في شأن من الشؤون ، كأن يقال : وكلتك تزويجي ، أو يقال : وكلتك بيع بيتي ، أو وكلتك بالتوقيع عني ، أو ، أو ، إلى آخره .

ومنه ما هو مطلق كأن يقال : وكلتك في القبول والإيجاب عني في كل شأنني وكل شيء ، وهذا وإن كان في نظر الناس عاما فهو لا يزال مقيدا فيما يطيق الناس .

أما النوع الآخر الذي حثنا عليه القرآن ، وجعله الله من أخلاق القوة وأخلاق أهل الإيمان : فإنه الاعتماد على الله جل وعلا ، في تسير أمورنا

مع الرضا بقضائه وقدره ، مع اليقين في أنه لا يختار لنا بلا اختبار ، ولا يختار لنا إلا ما هو من صالحنا .

ويكون التوكل أيضا بمعنى الحفظ ، فأقول : وكلت إليك هذا التمر ، يعني : لتحفظه ، فإذا توكلنا على الله جل وعلا فإننا نسأل الله الحفظ أو نرجو من الله أن يحفظنا .

وهو في اللغة بمعنيين :

معنى توكلت لفلان : يعني بمعنى توليت له ، توكلت له .

ومنها توكلت عليه بمعنى اعتمده .

أما من حيث هو خلق من أخلاق القرآن فقد جاء في ذلك قول الله جل وعلا :

[إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)]^١

[إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ] ، مقصد الضمير هنا ، المشار إليه بالضمير : الشيطان .

[لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] .

فجعل الله صفتين فقط تردان سلطان الشيطان :

الإيمان ، والتوكل .

طيب ، لماذا لم يكن الإيمان وحده ؟

لماذا لم يقل الله جل وعلا : ليس له سلطان على الذين آمنوا ؟

هل يستلزم الإيمان التوكل ؟

لا شك أن كمال الإيمان يستلزم التوكل ، ولكن لما كان الشيطان يندفع بالتوكل أيما اندفاع ؛ حُص التوكل هنا بمقابلة سلطان الشيطان ، وقد شوهد ذلك ورئي .

^١ سورة النحل ، ٩٩ .

فمن توكل على الله جل وعلا كفي سلطان الشيطان من جهتين :

من الجهة النفسية : أن القلب معتمد على الله سبحانه وتعالى اعتمادا كاملا ، لا يوسوس له الشيطان ولا يسيطر عليه .

فإذا نقص الاعتماد على الله جل وعلا صار للشيطان مدخل إلى القلب .

قد يقول قائل :

طيب كيف أمنع هذا السلطان أو هذا المدخل في قلبي ؟

يقال : بكمال التوكل .

فيقال : كيف أحقق التوكل الذي طلب مني لمحاربة الشيطان ؟

فلا يحقق التوكل من غير يقين وإيمان وحسن نظر إلى صفات الله جل وعلا كلها .

فالذي يعرف صفة الرحمة على وجهها الصحيح ، ويعرف صفة الحكم ، الله سبحانه وتعالى رحيم ، وفي نفس الوقت الله سبحانه وتعالى حفيظ ، الله جل وعلا عدل .

فإذا إذا عرفنا صفات الله سبحانه وتعالى على وجهها ، فإننا نتوكل عليه سبحانه وتعالى.

طيب هل تكفي معرفة الصفات معرفة ذهنية ؟

لا ، لا يكفي ، لا بد أن يكون مع المعرفة الذهنية معرفة قلبية ، فإن المرء قد يرى بقلبه ما لا يرى بعينه ، وهذا هو الصحيح ، أن مسائل الإيمان واليقين (المسائل المعنوية) إنما تدرك بالقلوب ، لا تدرك بالأبصار ؛ لأن الله جل وعلا يقول : [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)]^١ .

والمعرفة واليقين ومعرفة المعاني إنما تدرك بالقلوب ، وليس بالأدمغة والعقول ، بل جعل العقل بالقلب ، إنما يعقل الإنسان بقلبه ، وهذا وإن كان لم يؤيده العلم إلا في السنوات الأخيرة ، فإنه كان معروفا في كتاب الله جل

^١ سورة الحج ، ٤٦ .

وعلا قبل أكثر من أربعة عشرة قرن ، لأن الله جل وعلا قال : [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)] ؛ حتى لا يقول قائل القلوب التي هي الأدمغة التي في الرؤوس ؛ قال الله جل وعلا : (فِي الصُّدُورِ] .

ومعلوم عند الأطباء أن الإنسان إنما يعي ما يبصره بدماعه ، صحيح الإنسان يعي ما يبصره بدماعه ، يعني يمكن أن يرى اللون الأحمر أحمر إذا أبصره ، ويرى أن الأصفر أصفر إذا أبصره ، ويرى أن الكبير كبير إذا أبصره ، صح وإلا لا ؟

كذلك الأصوات إنما يدركها في ذهنه في أذنه ، ثم تتحول إلى الدماغ فيبصرها ، كيف يبصرها ؟

يبصرها إذا ترجمها ، لكن معاني الأمور لا تدرك لا بالبصر ولا بالسمع ، وإنما تدرك بالقلب لأنه يكون للمعاني إنقباض في القلب وانسراح وحركة ، وهذا الانسراح وهذا الإنقباض يصدر شيئاً لا نعرفه ، لكنهم الآن بدأوا يقولون : إنها موجات كهرومغناطيسية تخرج مع انقباضات القلب وانبساطاته فتكون في الدم ، ثم تنتقل عبر الدم إلى الدماغ فيقوم بترجمتها ؛ ولذلك فإنه من عبر عن حبه يقول : أنا قلبي أحب فلان ، قلبي انقبض من فلان ، أشعر بوحشة في قلبي ، وأشعر بسرور في قلبي ، ما يقول لك : أشعر بسرور في دماغي ، ولا أحب فلان بدماغي ؛ لأن الدماغ إنما هو آلة ترجمة لا آلة شعور .

وديننا سبق بهذا لأنه رباني ، لأن القرآن نزل من الله سبحانه وتعالى اللطيف الخبير الحكيم .

ولذا فنحن لما قالوا ذلك ، قالنا هو موجود عندنا ، وهنا أشير إلى إيمان العلماء بما جاء من كتاب الله جل وعلا وأنهم لا يقدمون عليه شيئاً ، كنت أسمع قبل سنين شريطاً للشيخ / محمد بن عثيمين - رحمه الله - مكالمة مع الدكتور / خالد الجبير . الدكتور خالد الجبير رجل فاضل ولكنه طبيب ليس بعلم الشيخ ابن عثيمين من حيث الرسوخ في العلم بالشرع ، فكان الدكتور خالد الجبير يقول للشيخ : الآن العقل يكون بالمخ .

قال الشيخ ابن عثيمين يكون بالقلب الله سبحانه وتعالى يقول : [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)] .

قال : ولكن يا شيخ نحن نرى أننا لو زرعنا قلبا لكافر في مسلم أنه لا يصبح كافرا ، يصبح مسلما ، فكان الشيخ يقول : ولو الله جل وعلا يقول .

فكان لا يقبل ؛ لأن القرآن يقول ، في هذه السنوات القربية اكتشف أنه وإن كان ذلك لا يظهر مباشرة إلا أنه يظهر بعد سنين .

يعني في الحقيقة القلب يتغير ، إذا تمت زراعة قلب كافر في جسد مسلم أنه سيتأثر بهذا القلب لكن لا يتأثر مباشرة ؛ لماذا ؟

لأن هناك موجات أصلا قد سبقت من القلب الأول إلى الدماغ وترسخت ، وزوالها ليس سريعا ، يأخذ وقت حتى يزول.

ولذا وجدوا أن أصحاب القلوب التي تزرع يتأثرون بالشخصيات السابقة لكن بعد مراحل ، وتظهر عليهم نفس السمات ويتصرفون نفس التصرفات .

ما علاقة ذلك بالتوكل ؟

علاقته أن التوكل أمر قلبي ، لا يكون إلا بعد النظر بعين القلب في صفات الله جل وعلا .

هذا الأول .

الثاني : بعد لزوم القلب حسن الظن بالله سبحانه وتعالى .

نحتاج إلى شيئين حتى يقوى عندنا التوكل على الله سبحانه وتعالى :

النظر إلى صفاته .

حسن الظن به سبحانه وتعالى .

شيء مطلوب منا علمي ، وأيضا شعوري وهو الظن به سبحانه وتعالى .

ولما كان التوكل له منزلة عند الله سبحانه وتعالى ، وعرف الأنبياء هذا المقام وأثر هذا الخلق العظيم ، وهو التوكل لازموا بينه وبين العبادة ؛ لذا يقول الله تعالى : [وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا]

متى ؟

[إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]^١ .

أي أنت تدعي الإيمان من التوكل على الله سبحانه وتعالى .

والتوكل على الله سبحانه وتعالى يكون في مقابلة أعداء الله وأعدائنا أي كانوا هؤلاء الأعداء ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : [وَعَلَى اللَّهِ فَائْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]^٢ يعني عند مقابلة العدو ليتوكل المؤمنون على الله جل وعلا .

وهناك لازم للتوكل وهو الذكر ، فإنه من يتوكل على الله جل وعلا لا بد أن يذكره أكثر ذكره ، يكثر التسبيح ، يكثر التحميد ، يكثر الصلاة ؛ ولذلك الله سبحانه وتعالى أمر من خاف أن يسبح الله جل وعلا ويلجأ إلى الصلاة ، وقد تعهد الله لنا ، ووعدنا وعدا وهو : أنه إنه توكلنا عليه فهو حسبنا ، هو كفيلنا ووكيلنا وضامن لنا ، قال الله جل وعلا : [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]^٣ ، يعني فهو كافيته .

تعالى وانظري قدر التوكل الذي تتوكلينه على الله جل وعلا ، عندما تتوكلين على الله في شأن من الشؤون هل تعتقدين هناك حسيب لك كفيل لك سواه ، أم لا ؟

إن كان هناك حسيب وكفيل في ذهنك سوى الله جل وعلا فإنك ستوكلين إليه .

أما إن كان هو الوكيل سبحانه وهو الحسب في قلبك وفي ظنك وفي اعتقادك ولو في لحظة من اللحظات فإنك ستكفين بإذن الله جل وعلا ، وهذا حتى للعصاة ، لا يستلزم الطاعة الكاملة ، حتى للعصاة أيضا يقع .

فإنه سبحانه وتعالى يقول : [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ]^٤ .

١ سورة البقرة ، ٢٣ .

٢ سورة التوبة ، ٥١ .

٣ سورة التغابن ، ٣ .

٤ سورة العنكبوت ، ٦٥ .

يعني معنى ذلك : أن الذي يخلص الله سبحانه وتعالى ويتوكل عليه ولا يرجو إلا هو في لحظة من اللحظات فإن الله سبحانه وتعالى ينجيه ويكون له حتى لو لم يكن قبلها مؤمناً ، لماذا ؟

لأن هذا شرط بين العبد وبين الله جل وعلا [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]^١ .

ولذلك فإن الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى حينما يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله فإنه حينئذ يتوكلون على الله سبحانه وتعالى ، فإذا توكلون على الله سبحانه وتعالى ، فإذا توكلوا على الله سبحانه وتعالى ما الذي يحصل ؟

يكفيهم الله جل وعلا ؛ لذلك يقول الله جل وعلا : [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا] (٣٩)

[^٢

يعني الحسيب هو الوكيل وهو الكفيل سبحانه وتعالى .

فمن يتوكل على الله سبحانه وتعالى فهو حسبه ، طيب هذا في مقابل الإنس .

كذلك في مقابل الجن ؟

نعم ، وهو في ذلك أبلغ وأعظم ، خاصة أنه لا يتحوط الإنسان في مقابلهم بحیطة سوى الحیطة المعنوية ، الذكر والتحصين والإستعانة بالله سبحانه وتعالى فحسب ، ما لك قدرة تردینهم بالمسائل المادية ، إنما جاء بذلك الشرع ، وكل ذلك أيضاً مع التوكل على الله سبحانه وتعالى ، وكثرة ذكر الله جل وعلا ، ولذلك فإن من يرقى نفسه مثلاً وهو متوكل على الله سبحانه وتعالى ليس كمن يرقى نفسه وهو غير متوكل على الله سبحانه وتعالى .

^١ سورة التغابن ، ٣ .
^٢ سورة الأحزاب ، ٣٩ .

من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى في رد المرض عنه بالرقية ، فإنه ولو كان راقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا ينتفع به وفي مثل هذا جاء الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى شيخ كبير يعودته فأراد أن يرقيه فقال : (لا بأس ، طهور إن شاء الله) . فقال : كلا ، بل حمى تفور ، على شيخ كبير ، كيما تزيره القبور . قال النبي صلى الله عليه وسلم : [فنعم إذا]^١ .

لا شك أن هذا مؤمن بالله سبحانه وتعالى ، لكنه لم يتوكل على الله سبحانه وتعالى في كفايته من الرقية ، فلذلك لم ينتفع بها .

والذين يتوكلون على الله سبحانه وتعالى جاء فيهم أنهم لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون .

هل معنى ذلك أن التوكل يتنافى مع الأخذ بالأسباب المادية ؟

لا ما يتنافى مع الأخذ ، لكنه يتنافى مع ما ليس بسبب ، إنما هو يتوهم أنه سبب ، التوهم السببي مثل التطير ، يتوهم فمن توكل على الله سبحانه وتعالى كفاه شأن الطيرة ، من يأخذ بالأسباب فيأخذ بها ولا يعتمد عليها ويتوكل على الله سبحانه وتعالى ينتفع بالسبب ، ومن يتوكل على السبب ولا يعتمد على الله سبحانه وتعالى ويتوكل عليه في دفع السبب فإنه قد ينتفع بالسبب وقد لا ينتفع به .

والتوكل إذا كان صادقا فهو أسطع برهان على تحقيق التوحيد والعبودية لله سبحانه وتعالى ، ومن هنا نستطيع أن ندرك أن جوهر عمل القلب التوكل .

ولذلك يا أخواتي الفاضلات ، وبناتي الحبيبات : التوكل ليس قول باللسان ، ولا هو عمل بالجوارح ، وإنما هو عمل قلبي ، يُسِيرُ اللسان وَيُسَيِّرُ الجوارح .

ومن جلال مكانه لفضيلة التوكل أن نرى الحق جل جلاله يأمر خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ويكرر هذا الأمر مرارا في كتابه سبحانه ، من ذلك قول الله جل وعلا : [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)]^٢

^١ أخرجه البخاري في صحيحه ، الصفحة أو الرقم: ٥٦٦٢ .

^٢ سورة الأحزاب ، ٤٨ .

ويقول الله سبحانه وتعالى : [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)]^١.

ومثل هذا كثير في كتاب الله جل وعلا .

الوقت يزاحمنا ولذا أكتفي بهذا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

تم بحمد الله

المجلس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

@الاستعاذه@

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي كان لنا معازدا ، وجعل لنا من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، وصلى الله وسلم على نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

اليوم نتحدث في هذه الدقائق عن خلق جليل من أخلاق القرآن ، ذلكم الخلق هو خلق التَّعَوُّذِ

فإن القرآن علم أتباعه أن يتعوذوا بالله جل وعلا ، أن يعوذوا بالله ، ويلجأوا إليه ويفرّوا إليه ويهربوا إليه .

التَّعَوُّذُ : مأخوذ من الاستعاذة ، والاستعاذة معناها الاستجارة وطلب الامتناع من المخوف .

والتعوذ هو التجاء إلى الغير والتعلق به ، والعياذ هو الملجأ ، والمعاذ هو الملجئ .

والتعوذ له معنى شرعي ، يقول الله سبحانه وتعالى : [وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)]^٢ فله مصدر شرعي ، وقد أمر الله جل وعلا

^١ سورة هود ، ١٢٣ .

^٢ سورة المؤمنون ، ٩٧ .

٤١
أتباع نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يعوذوا بالله وأن يلجأوا إليه
وأن يتخذوه لهم معاذاً .

والاستعاذة بهذا المفهوم تعني : دفع الشر .

والاستعاذة تكون بأمر ، وكثير من الناس يظن أنها تُقصر على الاستعاذة
من الذي يخاف منه كالشياطين فحسب .

ولكن الاستعاذة في القرآن تعني :

العوذ بالله من كل قبيح .

وهكذا ورد من القبائح في القرآن ما استُعِذ منه ، ولعلنا نأتي على بيانه إن
شاء الله .

وقد تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم إذ أمر بالتعوذ ، وتعوذ الأنبياء أيضا
كذلك ، من لدن أنفسهم ، طالبين أن يجيرهم الله جل وعلا من فُبح الأخلاق
، ورذائل الأعمال ولذلك قال يوسف لما طلب منه ما يخل بالخلق : [قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ]^١ .

ولما كان ما كان من قصة إخوة يوسف وقالوا [خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ]^٢ نأى
بنفسه عن الظلم ، واستعاذ بالله منه فقال : [قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ
وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩)]^٣

يامن ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يئيطون عظما أنت جابره

وكلمة أعوذ بالله يعني : ألجأ إليه وألوذ به وأستعين بقوته ونصره ودفعه
ليدفع عني ، ولكن الاستعاذة على وجه التحقيق لا تكون إلا بثلاثة أمور :

علم وحال وعمل .

^١ سورة يوسف ، ٢٣ ،

^٢ سورة يوسف ، ٧٨ .

^٣ سورة يوسف ، ٧٩ .

علم يدفع إلى يقين ، وحال يستوجب اللجأ والتعوذ ، وعمل هو نتاج هذين ، فإذا علم ووُجد الحال فمحال أن يقعد بعد ذلك عن العمل وهو قادر عليه .

والعلم لا يكون علما إلا إذا كان بشيئين :

العلم بقدرة المستعاذ به ، الملجوء إليه ، وعلم بحال العائد .

فالذي يعلم حاله من العجز يعلم قدراته ، يعلم عجزه ، يعلم أنه غير قادر على أن يرد عن نفسه أو أن يدفع عنها ، وعالم أن هذا الجسد وهذا القلب وهذا العقل يعيش في حال من الآفات وفي دهر من الكرب ، وأنه لا يقوى على دفع ذلك كله ، فإذا كان لا يقوى ولا يقدر على دفع جرثومة ولا على رد ذي روح ولا على رد ذي لسع من حشرة أو كائن يُرى أو لا يرى ، فإنه عالم بعجزه بالكلية وأنه غير قادر على شيء .

هذا أولا .

ثانيا : أن يعلم قدرة من يلجأ إليه ، فهو يعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأنه بكل شيء بصير وأنه عزيز وأنه قوي وأنه ذو انتقام وأنه لا يرد أمره ولا يدفع قدره ، ولا يغلب ولا يقهر وأن سلطانه على كل سلطان ، وأن قدرته فوق كل قدرة وأنه إليه المنتهى ، ثم علم مع ذلك كله صفاته سبحانه وتعالى ، فعلم رحمته ، وعلم مغفرته ، وعلم كرمه ، وعلم إحسانه وعلم لطفه ، إلى غير ذلك من صفات الله جل وعلا .

فهو عالم بحاله من حيث العجز ، وعالم بحال مولاه وربيه من حيث القدرة والكمال ، فإذا حدث ذلك العلم وصار يقينا في قلبه تطلع إلى دفع مولاه عنه لما يعجز هو عن دفعه .

ثم إنه لا يكون مستعملا لهذا العلم إلا إذا كان له حال يستوجب الرجوع إلى هذا والركون إليه وأنت ترين أن العبد قل أن يلجأ إلا في حال يجد نفسه في حاجة إلى لجؤ ، أما إذا استغنى فإنه في المعتاد يطغى ، وأنه يولي الدبر ، ولذلك يقول الله جل وعلا : [كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧)]^١ .

^١ سورة العلق ، ٦-٧ .

ولذلك فإننا نرى أن من يملك مالا ، أو يملك قوة أو قهرا ، أنه في المعتاد إذا تجرد من الإيمان واليقين أنه في المعتاد يتكبر ويتجبر .

وانظري إلى حال فرعون ، ثم انظري إلى حال هامان ، وانظري إلى قارون صاحب الأموال الذي يقول : [إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي]^١ ، وهكذا كل من ظن نفسه قادرا على شيء فإنه يلجأ إلى قدرته ويدع قدرة ربه ومولاه .

ولا نبعد عن ذلك كثيرا ، فانظري إلى ابن نوح حينما ظن في نفسه القوة والشباب وأنه قادر على مصارعة الأمواج ؛ لذلك لما دعاه أبوه ليركب معه في السفينة قال : [سَأُوتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ] ، قال الوالد وهو أعلم بالله جل وعلا : [قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ]^٢ .

فالاستعاذة تحتج إلى العلم وإلى الحال ، وإذا كان الحال مستوجبا إلى اللجوء إلى الله جل وعلا ، وكان العبد على قدر من العلم العلم الذي ذكرت : العلم بنفسه والعلم بمولاه ، فإنه مع هذا الحال ولا شك يستكمل اللجوء إلى الله جل وعلا ، ويكون من حاله العمل الدؤوب المظهر للجؤ والاستعاذة ، فيظهر ذلك العمل عليه من وجهين :

من وجه لفظي ، ومن وجه فعلي .

أما الوجه اللفظي : فهو باللسان ، بالدعاء والتضرع والابتهال والثناء على الله وشكوى حاله إلى ربه ومولاه ، فيشكو حاله إلى الله جل وعلا كسره ، ويشكو ضعفه ، ويشكو همه فهو يرفع يديه ويبسطهما بين يدي مولاه ، وهو يبرأ من حوله ومن قوته بحول الله وبقوته ، وكلما لازم الحال مع اليقين القلب وكلما قوي عليه وكلما سيطر عليه كلما كان نفع اللجوء إلى الله أقوى ؛ ولذلك يقول الله جل وعلا : [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ]^٣ .

^١ سورة القصص ، ٧٨ .

^٢ سورة هود ، ٤٣ .

^٣ سورة النمل ، ٦٢ .

ولذا فإنه لا أقوى في المسألة من حال الاضطرار ، ولا يكون حال الاضطرار إلا مع اليقين بالعجز التام ، عجز السائل وباليقين التام بقدرة المسؤول قدرة تامة على دفع الضرر .

فإذا كان كذلك فإنه يفعل ما يمليه هذا الحال من الانكسار والسجود والركوع والصلاة والاقبال على الله والتخلي عن قوى النفس والاستغفار وكل أحوال التخلي عن الظلم ، فإن كان ظالماً لنفسه تاب من ذلك و ، إن كان ظالماً لغيره رد المظالم إلى أهلها ، وهكذا يستجيب جسده لهذا الحال فتدمع عينه ويقشعر جسده ويكون من حاله من الخضوع والاشفاق ما رأيناه في حال بعض الصحابة لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم معاتباً عادوا ذليلين خاضعين ، وهذا أبو ذر يُسَاب بلالاً ويعيره بسواده ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : [إنك امرؤ فيك جاهلية]^١ ، فيرجع إلى نفسه ويعنفها ويعاتبها ويخاف مقام الله جل وعلا ، ويذكر مظلمته لأخيه فيظل يستغفر ربه ويدنو من أخيه ويستعته ويعتذر إليه حتى يعذره ، وحين إذ سيكون معذوراً بذلك لأنه عرف الطريق إلى العوذ بالله سبحانه وتعالى .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن الركن الأعظم في الاستعاذة هو العلم بالله جل وعلا ، ثم العلم بضعف النفس وعجزها ، فإذا استجمعت هذا وهذا حققت التوحيد .

فالاستعاذة بالله جل وعلا باب عظيم وأصل أصيل من أصول التوحيد ، ولذلك من استعاذ بغير الله أشرك ، والاستعاذة عمل من أعمال التوحيد لا تصرف إلا إلا الله سبحانه وتعالى ، والاستعاذة لا تتم إلا بالتوحيد المطلق .

أعني التوحيد المطلق : أن تعلمي أن مدبر العالم واحد ، وأن تعلمي أيضاً أن العبد غير مستقل بأعمال نفسه ، إذ لو كان مستقلاً بأعمال نفسه لم يكن له بالاستعاذة كبير فائدة .

إذا ثبت ما ذكرنا أن العبد مالم يعرف الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه أن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

^١ الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٦٠٥٠ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ومن الناس من يقول : لا حاجة في هذا الذكر إلى العلم بهذه المقدمة ، بل الإنسان إذا جوزّ كون الأمر كذلك حسن منه أن يقول : أعود بالله من الشيطان الرجيم ، أو أعود بالله على سبيل الإجمال .

وهذا في الحقيقة ضعيف جدا ، وهو وإن كان موافقا لألفاظ أهل الإيمان فإنه لا يوافق مقاماتهم ولا يوافق أحوالهم ، ولا يوافق النتائج التي يتحصلون عليها .

ولذلك لما حاجّ أزر إبراهيم قال له إبراهيم : [لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)]^١ فحاجه بالعقل وأن ذلك لا يكون وأنه لا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل ، لا يصح أن يحتاج الإنسان إلى شيء لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا ؛ فمن احتاج إلى ما لا يسمع ولا يبصر ولا يدفع فإنه حينئذ جاهل أشد الجهالة .

إذا عرفت ذلك فاعلمي أن التعوذ خلق قرآني ، وأن الله جل وعلا ذكره في كتابه في مواضع متعددة تبلغ خمسة عشر موضعا في كتابه جل وعلا ، وأنه ورد في السنة في أحوال متعددة ، وليس قاصرا على الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فحسب .

فالتعوذ بالمعنى الأخلاقي أن يستعاذ من كل نقيصة ومن كل فُبح ولذلك نجد أن التعوذ كان من نوح مثلا كما في سورة هود لما قال : " رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ " ^٢

ماذا قال الله له ؟

(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦))^٣

ماذا قال نوح ؟

(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)^٤

إذا العوذ هنا هل هو بالله من الشيطان الرجيم ؟

^١ سورة النمل ، ٤٢ .

^٢ سورة هود ، ٤٥ .

^٣ سورة هود ، ٤٦ .

^٤ سورة هود ، ٤٧ .

من الجهل ، وأجهل الجهل أن يحاج العبد ربه ، أو أن يعترض عليه ، أو أن يستدرك عليه ، وما أقبح ذلك بالذين يغيرون أحكام الله جل وعلا ، أو يشاقون الله ورسوله ، فيقولون : تلك الأحكام لتلك العصور ، أما نحن اليوم فنحن أعرف بزماننا ، وأعرف بأحوالنا ، وهذا لا يصلح لنا في هذا الزمان ، وهذا يصلح لنا في هذا الزمان .

فهم يعترضون على الله ، والحال أن نستعيز بالله من هذا القبح في الخلق ، وهو الاعتراض على الله جل وعلا ، وترك أو التفريط في التسليم المطلق له سبحانه وتعالى .

فلو علمنا علم اليقين أن الله حكيم ، وأن الله خبير ، وأن الله على كل شيء قدير وأنه الخالق فعرفنا له حق الربوبية ، وعرفنا له حق الألوهية ، واستجمعنا معرفتنا بصفات الله سبحانه وتعالى فمحال بعد هذا كله ألا نسلم له .

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥))^١ ؛ ولذلك استعاذ نوح بربه أن يسأله ما ليس له به علم ، ولذلك فإنه لما احتفى بجلال الله وجنابه ، واعتصم بتوفيقه من أن يسأله ما ليس له به علم ، قال الله له : " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ " ^٢ ، فبارك الله له بالاستعاذة واللجوء إلى الله من قبيح الأفعال ، ببارك الله له في عمله هذا وبارك عليه وبارك على من معه ، وبارك في الأرض التي ينزلها وأهبطه بسلام وتوفيق من الله جل وعلا وبركات .

أما موسى فإنه كذلك يستعيز بالله حينما نسب إليه ما يوصف بالجهل ، فإن موسى أمر قومه أن يذبحوا بقرة ، ماذا قالوا له ؟

(قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُوءًا)^٣

أتسخر بنا ؟ ، أتسخر بنا ؟

^١ سورة النساء ، ٦٥ .

^٢ سورة هود ، ٤٨ .

^٣ سورة البقرة ، ٦٧ .

قَالَ (أَعُوذُ بِاللَّهِ) يعني : أَلجأ إلى الله .

(أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ^١

ما كان لأحد في مقام دعوة أو في مقام تعليم أو في مقام تبليغ لرسالة الله جل وعلا أن يسخر أو أن يستهزئ بالناس أو يستجزء بالمدعوين .

لماذا ؟

لأنه مبلغ عن ربه ، ولا يفعل ذلك إلا من لا يعرف مقام من يبلغ عنه ، فلذا استكبر جدا موسى أن يكون مستهزئاً بقومه عند طلبه فلذلك قال : " أَعُوذُ بِاللَّهِ " أَلجأ إلى الله وأستجير بالله من أن أكون مستهزئاً بكم إذ طلبت منكم هذا الطلب ، ولذلك هياً الله له ما يكون وسيلة لهداية قومه فقال له : (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) ^٢

فجعل الله رؤية الآيات تبعا لحسن موقف موسى إذ لجأ إلى الله جل وعلا من قبيح ما نسب إليه من الجهالة .

وأیضا ورد أنه كان الأنبياء يستعينون بالله من كل خلق نَشِزَ كما استعاذوا بالله من التكبر والتجبر والطغيان ، (وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) ^٣ ((٢٧))

، وقال نوح في سورة الدخان : (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) ^٤ ، وكانت النتيجة لذلك التعوذ الصادق المخلص أن حقق الله لموسى وأتباعه أمرهم وأهلك عدوهم ، وكذلك حقق الله لنوح أمره ونجاه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين .

وحينئذ فإنه مما يجدر أن يحسن العبد لمن أحسن إليه ، وأن من أساء لمن أحسن إليه فإنه قد ارتكب آفة من آفات الأخلاق ، وكبيرة وجريرة من جرائم الذنوب ، ولذلك استعاذ يوسف صلى الله عليه وسلم من ذلك حينما أتهم بمراودة زوجة الرجل الذي أوه وأسكنه ورباه ، ثم هي راودته عن

^١ سورة البقرة ، ٦٧ .

^٢ سورة البقرة ، ٧٣ .

^٣ سورة غافر ، ٢٧ .

^٤ سورة الدخان ، ٢٠ .

نفسه كما تعلمون من قصة يوسف فامتنع منها وفر هارباً فأمسكت بثوبه من قفا فمزقته ، ثم لما كانت التهمة يراد أن يلبس بها قال : (مَعَاذَ اللَّهِ) ، (مَعَاذَ اللَّهِ) ، لا يمكن ، لو كنت سأفعل لا أفعل ذلك مع من رباني ، " (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) يعني : إنه ولي نعمتي الذي رباني في بيته ، (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣))^١

لا يفلح الظالم ، أي إنسان ظالم فإنه متوعد بالخيبة ، وأنه لا يفلح أبداً .

أما من لا يظلم ، من يقي لأهل الحقوق بحقوقهم فإن الله متعهد له سبحانه وتعالى بالبركة والسعة والرزق والتوفيق والسلامة .

ولما كان كذلك يوسف صرف الله عنه السوء ، قال الله جل وعلا :
(لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤))^٢

وقد يقول قائل :

أين صرف السوء وقد لبث في السجن بضع سنين ؟

فيقال : إنه قد صُرف عنه السوء والفحشاء ، وإن من سجنه معنى الحماية ، فلا تدرين كم حمى الله يوسف في سجنه من آفات عديدة لا ندري عنها ولذلك فإن كامل الإيمان اللاجئ إلى الله ، العالم بصفاته سبحانه ، العالم بأنه إذ لجأ إلى ربه أن الله يكفيه ، صاحب اليقين بحسن النتائج ، وأن الله لا أصدق منه قيلاً ، ولا أصدق منه وعداً ، ولا أصدق منه حديثاً ، ولا أوفى منه عهداً ، من علم ذلك كله فإنه ينتظر الفرج ولا يستبطئه ؛ لأنه يعلم أنه وإن أبطأ عليه الفرج فإنما يبطن لمصلحته ولخيرته في الدنيا والآخرة ؛ ولذلك كان التمكين على قمته وبتمامه حيث كانت النتائج أن رفع أبويه على العرش وخرروا له سجداً ، فكان ملكاً بعد تشريد وكان نبياً بعد طرد وإبعاد ، وهكذا يرفع الله من يشاء ويعز من يشاء ، ولا يرفع الله إلا من لجأ إليه واستعاذ به .

ولذا لما استعازت المرأة من النبي صلى الله عليه وسلم بربها قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لقد عذت بمعاذ الحقي بأهلك) .

^١ سورة يوسف ، ٢٧ .

^٢ سورة يوسف ، ٢٤ .

فأتبعها أهلها ولذلك لا يصح أن يتعوذ إلا مما يُتعوذ منه ، فلا يصح أن يتعوذ الإنسان مما لا يُتعوذ منه ، كأن يتعوذ المرء من صديقه أو من أخيه بلا وجه حاجة ، فلا يُتعوذ إلا من القبح ، من الشر ، أما الخير فإنه لا يُتعوذ منه .

وهنا نحتاج إلى الوقفة الأخيرة وهي التعوذ من الشياطين إنسهم وجنهم ، وقد جاء الأمر بذلك أن يُعوذ المرء نفسه وأن يعوذ ذريته ،

قالت: (إني أعيدُها بكَ ودُرِّيَّتَها مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦))^١ ، فأعاذها الله ، قال الله جل وعلا: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)^٢ .

وعادت مريم بالله جل وعلا حينما (قالت إني أعودُ بالرحمن منك إن كنت نقيًّا (١٨))

ويصح أن يستعيز الإنسان بالشيء الذي يبدر له شره لأول مره أو يخاف بطشه، يصح أن يتعوذ بالله منه مشروطاً ، فيقول: أعودُ بالله منك إن كنت كذا، كما قالت: (إني أعودُ بالرحمن منك إن كنت نقيًّا)^٣ ، ولذلك (قال إني عبدُ الله آتاني الكتابَ وجعلني نبيًّا (٣٠))^٤

وقد أمر الله جل وعلا أن نتعوذ بالله من همزات الشياطين، قال جل وعلا: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨))^٥ ، وقال: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠))^٦ وجاء التعوذ في سورة الفلق بأمور: (قل أعودُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥))^٦

هل يصح الاستعاذة بصفات الله؟ نعم.

^١ سورة ال عمران ، ٣٦ .

^٢ سورة ال عمران ، ٣٧ .

^٣ سورة مريم ، ٣٠ .

^٤ سورة المؤمنون ، ٩٧ .

^٥ سورة الأعراف ، ٢٠٠ .

^٦ سورة الفلق ، ١-٥ .

هل يصح الاستعاذة بآيات الله؟ وكلمات الله؟ نعم لأن كلمات الله إذا قصد بها القرآن فهي من أوصافه.

فلا يستعاذ إلا بالله أو شيء من أوصافه ولا يستعاذ بغير ذلك.

أما ما يستعاذ منه فقد رأينا أن الباب مفتوح فيما يستعاذ منه من كل ذي شر وذي آفة ومن كل قبيح ومما يستقطب ويستخفي ومما يظهر ويبرز.

لعلي أطلت عليكم ولكن لعلي أعرج إن شاء الله على نفع الاستعاذة في مقام آخر إن شاء الله في مسألة مدافعة الوسوسة ومدافعة الغضب ومدافعة الأمراض الروحية كالسحر والمس والحسد.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه غفور رحيم، وصلى الله وسلم على رسول الله .